

تذكر كتب التفسير أنَّ أحد ملوك النصارى على مدينة (أفسوس) أو خرسوس) ، واسمه (دقيانوس) انحرف عن دين التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، وبلغ انحرافه حد الكفر والفجور، وأخذ يُكرِّه النَّاسَ على عقيدته الفاسدة، فسمع بهم الملك فهددهم بالقتل إن لم يتبعوه، فلم يستجيبوا لأمره ولم يخضعوا لتهديده، وأصروا على توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته، فزادهم الله هدى وتثبيتاً على ما هم عليه من الإيمان والتوحيد، ورفضوا بإباء وأعلنوا عدم التخلي عن دينهم، وعبأوا على الذين انحرفوا واتبعوا الملك من دون حُجَّةٍ أو دليل، ولما رأى هؤلاء الشباب إقبال العامة على الكفر والضلال ، فاستقر رأيهم على الخروج من هذه المدينة إلى كهف في جبل ؛ وحتى يتمكنوا من عبادة ربهم في أمن وطمأنينة ، قال تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَإِنْ اِعْتَرَلْتُمْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) ، لقد شاء الله على أن يكون الكهف الذي لجؤوا إليه صحياً لا يتضررون فيه ، فبابه يفتح نحو الشمال، والشمس تدخله عند الغروب من دون أن تصيبهم بأشعتها فتؤذيهم ، قد وفقهم الله لهذا وهداهم إليه كما هداهم إلى الإيمان والتوحيد من قبل، أما الذين يختارون الضلالة على الهدى فيزيدهم ضلالاً وتيهًا ، ولا يبسر لهم دليلاً يرشدهم. قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ تَهْ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) ومن نعم الله عليهم في الكهف أيضاً أن حماهم من دخول داخل والاعتداء عليهم وهم رقود؛ إذ يتصور الناظر إليهم أنهم أيقاظ وليسوا بنائمين ، عيونهم مفتوحة تراقب كلَّ مَنْ يمر من يمر بالكهف، وكلبهم جالس جلسة الحي الذي يحرس أصحابه، قد مدَّ ذراعيه بفناء الكهف، على هيئة الاستعداد واليقظة، وهذه الحال تملأ قلب الناظر إليهم رعباً وخوفاً ، وتدعوه إلى الفرار لهول المنظر وهيبته. ومرةً للجنب الأيسر؛ قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا) ، فأخذ يسأل بعضهم بعضاً عن المدة التي ناموا فيها، وقال آخرون: أنتم لا تعلمون ذلك، فאלله وحده هو الذي يعلم ذلك ولا شك أنهم بعد هذا النوم الطويل في حاجة إلى الطعام، ولا بد أن يرسلوا من يشتري لهم الطعام الطيب الحلال من المدينة التي هجروها فراراً بدينهم، فاختاروا من بينهم واحداً وأوصوه بالحرز في ذهابه وتعامله خشية أن يكتشفهم الملك الكافر وأعدائه، وربما ألجؤوهم إلى الكفر، فيخسروا بذلك خساراً فادحاً في الدين والدنيا والآخرة، ومات الملك الكافر، وجاء بعده ملك مؤمن صالح ، ولهذا عندما ذهب أحدهم بدراهمه القديمة إلى المدينة ليشتري الطعام أنكر الباعة ذلك؛ لأنهم لم يعودوا يتعاملون بها ، فتحققوا من الشخص الذي جاءهم، ففرحوا بذلك، وكرمهم، ويزدادوا إيماناً بقدرة ربهم. وجدوا أنهم جميعاً ماتوا قبل أن يصلوا إليهم بقليل، فظهر للناس صدق خبرهم، وازدادوا يقيناً بقدرة الله تعالى على البعث. ثم انقسموا في تكريمهم بعد موتهم إلى فريقين، فريق يقول: نسد عليهم باب الكهف ونذرهم حيث هم، ويتذكرون هذه الآية العظيمة. فبني عليهم مسجد ، ليكون شاهداً على هذه الآية العظيمة التي حدثت في هذا الموقع. إن هذه الحادثة كانت عظة لأهل الكهف ابتداء؛ إذ أيقنوا بقدرة الله على بعث الناس يوم القيامة، كما حدث لهم في هذه الصورة من النوم الطويل والإيقاظ بعد ذلك. وعظة لكل من علم بهذه الحادثة. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ – وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْ يَتَذَعَّرُونَ أَمْ هُمْ قَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا). وتعددت الأقوال في عدد هؤلاء الفتية، والقول الصحيح في عددهم أنهم سبعة وثلاثون منهم كلبهم ، كما صح عن ابن عباس رضعهما " ، قال تعالى:(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) فالآية حين تحدثت عن القول الأول، والقول الثاني وصفتهما بالرجم بالغيب، وحين ذكرت القول الثالث لم تصفه بذلك ،